بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الْحَجُّ الَّذِي رَأَيْتُ

الخُطبةُ الأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ للَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيه، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١]، ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بَعدُ:

فَعنْوَانُ خُطْبَةِ هَذَا الْيَوْمِ ((الْحَجُّ الَّذِي رَأَيْتَ)).

الْحَجُّ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَشَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِهِ الْعِظَامِ، دَعَا إِلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَوْجَبَهُ عَلَى عِبَادِهِ الْمُسْتَطِيعِينَ، نَادَى بِهِ نَبِيُّهُ الْخَلِيلُ، كَمَا قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبَرَهُ فِي التَّنْزِيلِ، نَادَى بِهِ فَأَذَّنَ فَبَلَّغَ اللهُ أَذَانَهُ، فَلَمَّا عَلِمَ عِبَادُ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ الدُّعَاءِ وَذَلِكَ النِّدَاءِ، تَفَتَّحَتْ لَهُ أَسْمَاعُهُمْ، وَتَفَتَّحَتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ، فَصَارُوا لَهُ مُجِيبِينَ، وَلِدَاعِيهِ مُلَبِّينَ، قَطَعُوا الْوِهَادَ وَسَارُوا الفيافِيَ وَجَاوَزُوا النَّجَادَ؛ مَحَبَّةً وَمَرْضَاةً لِرَبِّ الْعِبَادِ، سَارُوا إِلَى اللهِ مُلَبِّينَ، وَلِرَحْمَتِهِ رَاجِينَ، خَرَجُوا وَمَالِلدنيا خَرَجُوا، خَرَجُوا لِرَحْمَةِ اللهِ طَامِعِينَ، وَفِي جُودِهِ وَإِحْسَانِهِ وَعَظِيمِ كَرَمِهِ آمِلِينَ، خَرَجُوا إِلَى اللهِ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ بِقُلُوبٍ مَلِيئَةٍ بِالْإِجْلَالِ وَالشَّوْقِ وَالْحَنِينِ إِلَى عَفْوِ اللهِ، خَرَجُوا وَمَا كَانَتِ الدُّنْيَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ إِذْ خَرَجُوا، خَرَجُوا وَكُلُّهُمْ أَمَلٌ فِي اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُنَادِيَهُمْ حَجٌّ مبرورٌ، وسعيٌ مشكورٌ، وذنبٌ مغفورٌ.

فَمَا ضُرِبَتْ قَدَمٌ عَلَى الْأَرْضِ أَشْرَفَ عِنْدَ اللهِ عزَّ وَجلَّ، وَلَا أَزْكَى مِنْ قَدَمِ الْمُطِيعِ لِرَبِّهِ، وَمَا وَفَدَ وَافِدٌ يَسِيرُ عَلَى الْفِجَاجِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ وَافِدٍ عَلَى بَيْتِهِ، وَلَا رَاكِبٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذَا الرَّكْبِ الْعَزِيزِ الَّذِي فَارِقَ كُلَّ عَزِيزٍ، إِنَّهُ رَكْبُ اللهِ، وَوَفْدُ اللهِ الْقَادِمِ عَلَى اللهِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وَقَالَ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[البقرة: ١٩٧]، وَقَالَ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا

الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾[الحج: ٢٧-٣٢].

وعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»[أخرجه مسلم (١٣٤٩) من حديث جابر ﷺ].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما].

وعَنْ عُمَرَ بن الخطاب ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّ الْمُتَابَعَةَ بَيْنَهُمَا تَنْفِي الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[أخرجه ابن ماجه (٢٨٨٧) من حديث عمر ﷺ].

عِبَادَ اللهِ: حَجَجْتُ فِي مَرَّاتٍ سَابِقَةٍ فَرَأَيْتُ بِعَيْنَيَّ أَشْيَاءً جَمِيلَةً وَرَائِعَةً:

فَمِنْهَا أَنَّنِي رَأَيْتُ هِمَمًا وَحُبًّا لِلْوُصُولِ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، رَأَيْتُ أُنَاسًا يَبْكُونَ شَوْقًا لِلْحَرَمِ، ثُمَّ يَبْكُونَ فَرَحًا وَطَرَبًا عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي هِيَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ، وَالَّتِي تَهْفُو إِلَيْهَا الْقُلُوبُ، وَتَتَحَرَّكُ لَهَا الْأَشْجَانُ، فَيَا للهِ بِتِيَّاكَ الْقُلُوبُ الْخَاشِعَةِ، وَهَنِيئًا لِتِلْكَ الْعُيُونِ بِتِلْكَ الدُّمُوعِ الصَّادِقَةِ، وَلَكِ اللهُ يَا تِلْكَ النُّفُوسِ الْمُطْرِبَةِ أَنْتِ فِي جَنَّةِ الدُّنْيَا قَبْلَ السَّعَادَةِ بِجَنَّةِ الْآخِرَةِ.

وَرَأَيْتُ رَجُلًا يَحْمِلُ أُمَّهُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَيَطُوفُ بِهَا، وَآخَرُ يَحْمِلُ تِلْكَ الْعَجُوزَ الَّتِي بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا، يَسْعَى بِهَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَثَالِثٌ تَعِبَ أَبُوهُ فَحَمَلَهُ خَارِجًا بِهِ مِنْ مِنَى مُتَوَجِّهًا إِلَى مُزْدَلِفَةَ، وَلَكَ أَنْ تَحْسِبَ هَذِهِ الْمُعَانَاةَ، فَهَنَأَكُمُ اللهُ بِأَجْرَيْنِ: أَجْرُ الْحَجِّ وَأَجْرُ الْبِرِّ، فَمَا رَأَتْ عُيُونُنَا بِرًّا كَهَذَا، وَفَّقَ اللهُ أَوْلَادَنَا لِلْبِرِّ بِآبَائِهِمْ.

وَرَأَيْتُ فِي حَمْلَةِ الْحَجِّ رَجُلًا مَا تَرَاهُ إِلَّا مُصَلِّيًا، أَوْ قَارِئًا لِلْقُرْآنِ يُرِيدُ خَتْمَهُ فِي مِنَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَوْ لَاهِجًا بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ دَاعِيًا لِمَحْبُوبِهِ بِالْإِلْحَاحِ وَصِدْقٍ، يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ وَهُوَ ﴿قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، يَسْتَغِلُّ كُلَّ دَقِيقَةٍ لِرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الصَّالِحِينَ تَقَبَّلْ مِنْهُمْ صَلَاتَهُمْ، وَذِكْرَهُمْ وَدُعَاءَهُمْ وَحَجَّهُمْ وَاجْعَلْهُمْ مِنَ الْمَقْبُولِينَ.

رَأَيْتُ مَنْ يَبْكِي حَتَى يَغْرَقَ بِدُمُوعِهِ إِحْرَامَهُ حُبًّا وَخَوْفًا وَخَشْيَةً وَإِنَابَةً ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[مريم: ٥٨]، وَيَقُولُ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾[الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

رَأَيْتُ أُنَاسًا كَانُوا قِمَّةً فِي الْحَضَارَةِ وَالرُّقِيِّ، جِبَالًا فِي الْأَخْلَاقِ الرَّاقِيَةِ، وَعِنْدَ شِدَّةِ الزِّحَامِ، وَاخْتِلَاطِ الْأَصْوَاتِ، وَتَلَاحُمِ الْأَجْسَادِ، وَإِذَا بِهِ يَرْفُقُ بِالضَّعِيفِ، وَيُسَاعِدُ الْمَلْهُوفَ، وَيَحْنُو عَلَى الصَّغِيرِ، وَيُرَاعِي

الْمَرْأَةَ، وَيَبْتَسِمُ فِي وَجْهِ الْغَضْبَانِ، وَيُرَتِّبُ عَلَى كَتِفِ الْمُصَابِ، وَلَا يَرُدُّ عَلَى الشَّاتِمِ وَالسَّبَّابِ، وَلَا يُضَايِقُ وَلَا يُدْفَعُ أَحَدًا، وَلَا يَضْرِبُ وَلَا يَصِيحُ، مُحَافِظًا عَلَى سُلُوكِيَاتِهِ وَخُلُقِهِ الْقَوِيمِ، وَنَفْسِهِ الطَّيِّبَةِ فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ الْمُزْعِجَةِ، وَهُنَا تَنْكَشِفُ الْأَخْلَاقُ، وَيَتَبَيَّنُ الْخُلُقُ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةٌ، وَقِيَمٌ رَاسِخَةٌ، وَ الْخُلُقُ الَّذِي هُوَ تَصَنُّعٌ وَتَزَلُّفٌ، وَتَبِينُ النَّائِحَةُ الْمُسْتَأْجَرَةُ مِنَ النَّائِحَةِ الثَّكْلَى، فَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هُمُ الْكُمَّلُ؛ فَالْحَجُّ هُوَ الْعَلَامَةُ الْفَارِقَةُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهُمِ الرَّقَمُ الصَّعْبُ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ، فَاللهُ أَكْبَرُ مَا أَلَذَّ الْأَخْلَاقَ الْعَالِيَةَ وَمَا أَطْيَبَ سَنَاهَا.

رَأَيْنَا مَنْ يُحِبُّ النِّظَامَ، وَيُسَاعِدُ مُوَظَّفِي الْحَجِّ وَأَجْهِزَةَ الْأَمْنِ، يُهِمُّهُ سُمْعَةُ أُمَّتِهِ وَسُمْعَةُ بَلَدِهِ، يَدُلُّ التَّائِهِينَ، وَيُسَاعِدُ الْمُصَابِينَ، وَيُعْطِي الطَّرِيقَ حَقَّهُ، وَيَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِلْمُسْعِفِينَ، فَهُوَ إِيجَابِيٌّ فِي حَجِّهِ، خَفِيفٌ فِي ظِلِّهِ، حَرِيصٌ عَلَى وُفُودِ رَبِّهِ، مُبَارَكٌ أَيْنَمَا حَلَّ، نَافِعٌ أَيْنَمَا ارْتَحَلَ.

وَرَأَيْتُ رِجَالًا نَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا الطَّعَامَ الزَّائِدَ مِنَ الْحَمْلَةِ وَيُوَزِّعُوهُ عَلَى الْفُقَرَاءِ خَارِجَ الْحَمْلَةِ، وَبِطَرِيقَةٍ حَضَارِيَّةٍ وَنَظِيفَةٍ.

رَأَيْتُ أُنَاسًا يَتَتَبَّعُونَ السُّنَنَ فِي الْحَجِّ؛ لِتَطْبِيقِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا، يَتَمَتَّعُونَ بِمُتَابَعَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، مَا يَتْرُكُونَ سَنَةً إِلَّا وَيُحَاوِلُونَ تَطْبِيقَهَا وَلَوْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا بِدَافِعِ حُبِّ نَبِيِّهِمْ وَحَبِيبِهِمْ ﷺ، مَا يَتَخَفَّفُونَ مَعَ أَنَّ لَهُمِ التَّخَفُّفَ، وَلَكِنَّهُ حَجَّ لِيُكْمِلَ حَجَّهُ لَا لِيُضَيِّعَ حَجَّهُ.

وَرَأَيْتُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّوَاحِي الْإِيجَابِيَّةِ وَالْمَوَاقِفِ الرَّائِعَةِ، فَلْتَكُنْ أَخِي الْحَاجَّ مِنْ أَصْحَابِ هَذِهِ الْمَبَادِئِ الرَّائِعَةِ، وَاصْبِرْ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْحَجَّ أَيَّامٌ مَعْدُودَةٌ، وَصَبْرُكَ سَيُثْمِرُ جَمَالًا وَرَوْعَةً وَإِبْدَاعًا فِي حَجِّكَ، وَفَّقَكَ اللهُ فِي حَجِّكَ وَرَدَّكَ لِأَهْلِكَ سَالِمًا غَانِمًا رَاجِعًا إِلَيْهِمْ كَيَوْمِ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ.

عِبَادَ اللهِ: وَهُنَاكَ مَظَاهِرُ سَلْبِيَّةٌ، وَتَصَرُّفَاتٌ خَاطِئَةٌ مِنَ الْحَجِيجِ، أُنَبِّهُ عَلَيْهَا لِيَتِمَّ الْحَذَرُ مِنْهَا:

فَمِنْهَا: مَجَالِسُ النَّاسِ فِي الْحَمْلَاتِ أَوْ فِي غَيْرِهَا فِي عَرَفَاتٍ أَوْ فِي مِنَى أَيَّامَ الْعِيدِ، وَالتَّشْرِيقِ، وَغَالِبُ كَلَامِهِمُ الْغِيبَةُ وَالْكَذِبُ وَالنِّكَاتُ وَالطَّرَائِفُ وَالْقَصَصُ الَّتِي لَا فَائِدَةَ مِنْهَا، وَلَا ثَمَرَةَ تُرْجَى وَرَاءَهَا.

وَمُصِيبَةُ الْمَصَائِبِ فِي تِلْكَ الْمَجَالِسِ كَثْرَةُ فَتَاوَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا فِي مَسَائِلِ الْحَجِّ، مَعَ أَنَّهُمْ مَا قَرَأُوا فِي الْحَجِّ كِتَابًا، وَلَا بَحَثُوا فِيهِ مَسْأَلَةً وَاحِدَةً بَحْثًا عِلْمِيًّا، حَتَّى سَمِعْتُ فَتَاوَى مِنْ أَعْجَبِ مَا يَكُونُ، لَا يَقُولُهَا عَاقِلٌ، فَلَمَّا سَأَلْتُ فَإِذَا بِهِمْ بَعْضُ الْحُجَّاجِ، وَحُجَّتُهُ أَنَّ ابْنَ بَازٍ أَوِ ابْنَ عُثَيْمِينَ قَالَهُ وَهُوَ لَمْ يَقُلْهُ، وَهَؤُلَاءِ ارْتَكَبُوا أَمْرًا حَيْثُ قَالُوا عَلَى اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَتَسَنَّمُوا مَقَامًا لَيْسَ لَهُمْ، وَغَصَبُوا مَنَاصِبَ الْعُلَمَاءِ، وَكَذَبُوا عَلَى اللهِ، وَافْتَرَوْا عَلَى الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَقُولُوهُ، وَبَعْضُ الْحَمَلَاتِ تَأْتِي بِشَابٍّ تَخَرَّجَ مِنْ كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَمَا مَارَسَ الْعِلْمَ وَعَانَى النَّظَرَ فِيهِ لِيُفْتِيَ النَّاسَ فِي دِينِ اللهِ، وَهَذِهِ دَاهِيَةٌ دَهْيَاءُ، وَالْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى أَنَّ الْمُسْتَفْتِي لِأُولَئِكَ الْقَوْمِ يَأْخُذُ بِكَلَامِهِمْ فِي أَحْكَامِ الْحَجِّ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْوَصِ أَبْوَابِ الْفِقْهِ، فَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَأَقُولُ دَعُوا الْفَتْوَى لِأَهْلِهَا وَلَا تَرْتَقُوا مُرْتَقًا صَعْبًا يَسْأَلُكُمُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَمِنْهَا: الْغَلَاءُ الْفَاحِشُ فِي الْحَمْلَاتِ، وَإِشْبَاعُ أَصْحَابِ الْحَمْلَاتِ أَطْمَاعَهُمْ وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي جَشَعِهِمْ، وَكَذَلِكَ الْغَلَاءُ الْآتِي مِنْ وِزَارَةِ الْحَجِّ لِلْمَوَاقِعِ لَهُ أَثَرُهُ وَدَوْرُهُ، حَتَّى أَعْيَا ذَوِي الدَّخْلِ الْمَحْدُودِ، فَلَا يَحُجُّ إِلَّا

الْأَغْنِيَاءِ وَمَنْ عِنْدَهُ قُدْرَةٌ مَالِيَّةٌ، حَتَّى أَلْجَأُوا ذَلِكَ الْمِسْكِينَ، وَأَصْحَابَ الْقُلُوبِ الرَّقِيقَةِ الْقَرِيبَةِ أَنْ يَحُجَّ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ نِظَامِيَّةٍ، وَأَقُولُهَا إِذَا لَمْ تُتَدَارَكْ تِلْكَ الْمُشْكِلَةُ فَسَتَأْتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِنَتَائِجَ عَكْسِيَّةٍ لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهَا.

وَمِنْهَا: أَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ سَأَذْهَبُ لِلْحَجِّ بِدُونِ تَصْرِيحٍ، فَهَذِهِ مُخَالَفَةٌ، فَيَأْتِي لِلْمِيقَاتِ وَلَا يُحْرِمُ، وَهَذِهِ مَعْصِيَةٌ وَإِثْمٌ فَيَكُونُ قَدْ حَجَّ لِيَعْصِيَ اللهَ، ثُمَّ يَمُرُّ مِنْ عِنْدِ النُّقْطَةِ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَحْرَمَ مِنْ هُنَاكَ، وَيَقُولُ عَلَيَّ دَمٌ، وَأَنَا أَقُولُ: وَمَعَ الدَّمِ أَنْتَ عَاصٍ لله تَعَالَى، فَهَلْ حَجَجْتَ لِتَعْصِيَ اللهَ أَمْ لِتُطِيعَهُ؟!.

وَمِنْهَا: أَنَّ بَعْضَهُمْ إِذَا مَاتَ لَهُ قَرِيبٌ، وَهَذَا الْمَيِّتُ قَدْ حَجَّ فِي حَيَاتِهِ عِدَّةَ حِجَجٍ، هَبُّوا يَجْعَلُونَ حَجَّةً مِنْ تَرِكَتِهِ وَيُسَمُّونَهَا حَجَّةَ الْفَقِيدِ، وَهَذِهِ الْحَجَّةُ الْمَقْصُودُ بِهَا مَنْ لَمْ يَحُجَّ فِي حَيَاتِهِ، وَمِثْلُهَا أَنَّ هَذَا الْمَيِّتَ الَّذِي حَجَّ فِي حَيَاتِهِ ثُمَّ مَاتَ فَيَقُومُ أَقَارِبُهُ بِالتَّبَرُّعِ بِحَجَّةٍ عَنْهُ، بَلْ يَحُجُّ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ يَحُجُّونَ عَنْهُ، أَوْ يَدْفَعُونَ مَبْلَغًا مِنَ الْمَالِ لِمَنْ يَحُجُّ عَنْهُ، وَهَذَا كَثِيرٌ، وَكَذَا الْعُمْرَةُ، وَعِنْدَ النَّظَرِ إِلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ الْكِرَامِ فَإِنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا، وَلِذَا فَهَذَا الْفِعْلُ لَا أَصْلَ لَهُ، بَلْ إِنَّ السَّلَفَ يُرَكِّزُونَ أَكْثَرَ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مَا يَتْبَعُ الْمَيِّتُ فِي قَبْرِهِ.

وَهُنَاكَ طَرِيقَتَانِ تُعْتَبَرَانِ حَلًّا مُنَاسِبًا وَنَافِعًا لِذَلِكَ الْمَيِّتِ:

الْأُولَى: أَنْ تُحْضِرَ إِنْسَانًا مَا حَجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ وَهُوَ فَقِيرٌ، وَتُعْطِيَهِ تَكْلِفَةَ الْحَجِّ كَامِلَةً، وَتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَحُجَّ عَنْ نَفْسِهِ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَكُونَ فِي نِيَّتِكَ أَنَّ أَجْرَ هَذَا الْمَبْلَغِ لِأَبِيكَ الْمَيِّتِ أَوْ أُمِّكَ الْمَيِّتَةِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ تَحُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ تُهْدِيَ ثَوَابَ تِلْكَ الْحَجَّةِ لِأَبِيكَ.

وَمِنَ السُّلُوكِيَّاتِ الْخَاطِئَةِ: اخْتِصَارُ الْحَجِّ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ لَيْلَةَ مِنًى وَيَصِلُ مَكَّةَ عَصْرَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يُؤَخِّرُ الطَّوَافَ مَعَ السَّعْيِ فِي الْوَدَاعِ، وَقَدْ يُوَكِّلُ فِي الرَّمْيِ يَوْمَ الثَّانِي عَشَرَ، فَيَخْتَصِرُ الْحَجَّ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ أَقَلَّ، وَقَدْ يَسْتَعْجِلُ وَيُسَدِّدُ الْبَقَاءَ دِمَاءً بِمَكَّةَ، وَهَذَا مِنَ الْعَبَثِ، وَمِثْلُهُ مِثْلُ الَّذِي يَنْقُرُ الصَّلَاةَ نَقْرَ الْغُرَابِ، فَأَمَامَكَ أَمْرَانِ: إِمَّا حَجٌّ مُتَكَامِلٌ، أَوْ لَا تُعَنِّي عَلَى جَسَدِكَ وَمَالِكَ.

وَمِنْهَا: التَّوْكِيلُ؛ فَالتَّوْكِيلُ فِي رَمْيِ الْجَمَرَاتِ كَانَ وَقْتُ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، أَمَّا الْيَوْمَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّوْكِيلِ؛ لِأَنَّ الْحَلَّ الْهَنْدَسِيَّ وَالْقِطَارَ وَنَحْوَهَا أَرَاحَنَا مِنَ الْحَلِّ الشَّرْعِيِّ، فَلَا تَوْكِيلَ فِي الرَّمْيِ إِلَّا فِي أَضْيَقِ الْحُدُودِ، وَبِحَسْبِ مَا يَرَاهُ الْمُجْتَهِدُ مُنَاسِبًا.

وَرَأَيْتُ بَعْضَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَمَلَاتِ أَوْ فِي غَيْرِ الْحَمَلَاتِ يَسْكُنُونَ فِي الْمُزْدَلِفَةِ أَوِ الْعَزِيزِيَّةِ، ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى مِنًى أَيَّامَ الْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ لِلْمَبِيتِ، وَلَكِنْ بِشَكْلٍ مُزْرٍ؛ فَيُؤْذُونَ الْمَارَّةَ مِنَ الْحُجَّاجِ، وَيُغْلِقُونَ الطُّرُقَاتِ، وَيَتَرَاكَمُونَ عَلَى الْأَرْصِفَةِ بِشَكْلٍ غَيْرِ حَضَارِيٍّ، وَيَجْلِسُونَ بِجَانِبِ الزِّبَالَاتِ، وَيُشْغِلُونَ الْجِهَاتِ الرَّسْمِيَّةَ، وَيُؤَخِّرُونَ سَيَّارَاتِ الْإِسْعَافِ وَغَيْرِهَا كَثِيرٍ، وَالْأَهْوَنُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ أَنْ يَبْقَى فِي الْمُزْدَلِفَةِ وَالْعَزِيزِيَّةِ لِتُوَاصِلَ الْخَيَّامَ، أَوْ لِعَدَمِ تَهْيِئَةِ مَكَانٍ لَهُمْ بِمِنًى، فَيَبْقَى فِي سَكَنِهِ هَذَا أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَلَا أَتَصَوَّرُ أَنَّ دِينَنَا الْعَظِيمَ يَرْضَى أَنْ يُهِينَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ، وَلَا أَنْ يَجْلِسَ فِي أَمَاكِنَ لَا تَلِيقُ لِأَجْلِ أَنْ يُحَقِّقَ نُسُكًا، هَذَا لَا يُتَصَوَّرُ مِنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي هُوَ قِمَّةُ الرُّقِيِّ وَالتَّحَضُّرِ.

وَمِنْهَا تَبييتُ النِّيَّةِ بالتَّرَخُّصِ، فَهُوَ مِنْ أَوَّلِ مَا يَنْوِي الْحَجَّ وَهُوَ لَا زَالَ بِمَدِينَةِ الْخَمِيسِ مَثَلًا، يَسْتَفْتِي هَلْ يُمْكِنُ تَأْخِيرِ طَوَافِ الْإِفَاضَةِ مَعَ طَوَافِ الْوَدَاعِ؟ هَلْ أَتَوَكَّلُ عَنْ زَوْجَتِي؟ وَمِنْ هَذِهِ الْأَسْئِلَةِ الْغَرِيبَةِ، وَأَقُولُ لَهُ حُجَّ وَهُنَاكَ قَرِّرْ فِي وَقْتِهَا، وَاسْتَفْتِ فِي وَقْتِهَا، أَمَّا تَبَيِّتُ النِّيَّةِ بِالتَّقْصِيرِ فِي الْحَجِّ فَلَا تَفْعَلْ.

وَمِنْهَا: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَظُنُّ أَنَّ الْإِفْرَادَ لَيْسَ فِيهِ هَدْيٌ وَهَذَا خَطَأٌ، بَلْ عَلَى الْمُتَمَتِّعِ هَدْيٌ وَاجِبٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَعَلَى الْقَارِنِ هَدْيٌ وَاجِبٌ فِيمَا يُرَجِّحُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَعَلَى الْمُفْرِدِ هَدْيٌ مَسْنُونٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ الْمُعْتَمِرِ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ عَلَيْهِ هَدْيٌ مَسْنُونٌ بِالْإِجْمَاعِ، فَأَنْصَحُ مَنْ يَحُجُّ حَجًّا مُفْرَدًا أَنْ يُهْدِيَ هَدِيًّا لِلْكَعْبَةِ.

وَمِنْهَا: لِمَنْ أَرَادَ الْحَجَّ أَنْ يَقْرَأَ كِتَابًا فِي الْحَجِّ يُسَاعِدُهُ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الْحَجِّ وَأَحْكَامِهِ، بَلْ رَأَيْتُ بَعْضَهُمْ لَهُ خَمْسُ أَوْ سِتُّ حِجَجٍ تُشْبِهُ كُلَّهَا حَجَّتُهُ الْأُولَى وَلَا شَيْءَ تَغَيَّرَ، وَالسَّبَبُ عَدَمُ الْقِرَاءَةِ فِي الْحَجِّ، وَتَطْوِيرُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ فِي بَابِ الْحَجِّ.

وَرَأَيْتُ فِي الْحَمَلَاتِ الْإِكْثَارَ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْعَصِيرَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْمَأْكُولَاتِ، فَهُوَ بَيْنَ آكِلٍ قَدْ أَصَابَتْهُ التُّخَمَةُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَبَيْنَ وَاقِفٍ فِي سِرَاءِ دَوْرَاتِ الْمِيَاهِ –أَكْرَمَ اللهُ الْجَمِيعَ– حَتَّى يَزِيدُ وَزْنَهُ، بَلْ يَأْكُلُ رُبُعَ الصَّحْنِ وَيَرْمِي الْبَاقِي، فَإِذَا سَأَلْتَهُ قَالَ: آكَلُ بِفُلُوسِي، وَالْحَمْلَةُ كَسَرُوا ظَهْرِي، فَأَنَا أُخْرِجُهَا مِنْ ظُهُورِهِمْ بِالْأَكْلِ، فَيَعْبَثُ بِالنِّعْمَةِ لِيُغِيظَ أَصْحَابَ الْحَمْلَةِ، وَصَاحِبُ الْحَمْلَةِ أَسْوَأُ مِنْهُ وَأَمَرُ، حَيْثُ يُكْثِرُونَ بِشَكْلٍ سيءٍ الْأَكْلِ وَغَيْرِهِ، فَإِذَا أَخْبَرْتَهُ أَنَّ هَذَا عَبَثٌ وإسرافٌ، قَالَ أُرِيدُ أَنْ أُسْكِتَ أَفْوَاهَ الْحُجَّاجِ، فَلَمْ يُسْكِتْ أَفْوَاهَهُمْ وَعَصَى رَبَّهُ.

وَرَأَيْتُ كَثْرَةَ الزِّبَالَاتِ فِي الْمَشَاعِرِ الْمُقَدَّسَةِ حَتَّى إِنَّكَ تَمْشِي عَلَى النِّعَمِ وَلَا حِيلَةَ لَكَ، فَمَثَلًا مِنْ ظُهْرِ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى غُرُوبِ شَمْسِهَا –أي لِسَاعَاتٍ– كَأَنَّهُمْ بَقُوا شُهُوراً يُوسِّخُونَهَا، فَسُبْحَانَ اللهِ هَذَا غَرِيبٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى نَهَمِ النَّاسِ فِي الْأَكْلِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْأَكْلُ سَبِيلًا، ثُمَّ انْظُرْ تَوَافُدَهُمْ عَلَى دَوْرَاتِ الْمِيَاهِ بِشَكْلٍ مُخِيفٍ.

وَرَأَيْتُ عَدَمَ اهْتِمَامٍ بِطَوَافِ الْإِفَاضَةِ مَعَ أَنَّ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْحَجِّ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ، وَلَكِنَّنَا لَا نَبْذُلُ فِيهِ كَثِيرٍ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّمَلُّقِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ.

رَأَيْتُ أُنَاسًا يَحْلِقُونَ الْعَانَةَ وَالْإِبْطَيْنِ، وَيُقَلِّمُونَ الْأَظَافِرَ فِي دَوْرَاتِ مِيَاهِ الْمِيقَاتِ مُدَّعِينَ أَنَّ هَذَا سُنَّةٌ، وَالْحَقُّ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِسُنَّةٍ بَلْ إِلَى الْبِدْعَةِ أَقْرَبُ، ثُمَّ يُوسِّخُونَ الدَّوْرَاتِ وَيُلْقُونَ الْأَمْوَاسَ، فَقَدْ تَجْرَحُ أَحَدًا، وَأَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ الْحَجَّ تَنَظَّفْ وَاعْمَلْ سُنَنَ الْفِطْرَةِ فِي بَيْتِكَ.

وَرَأَيْتُ إِزْعَاجًا شَدِيدًا بِبَوَارِي السَّيَّارَاتِ، وَمُنَبِّهَاتِ الصَّوْتِ مَغْرِبَ عَرَفَاتٍ، وَهُوَ وَقْتُ سَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَنَزُّلِ اللهِ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَبَعْدَهَا اسْمَعِ الْإِزْعَاجَ وَإِشْغَالَ الْحَجِيجِ وَالْمُسَابَقَةَ وَالتَّصَادُمَ وَغَيْرَهَا، وَهَذَا لَا يَلِيقُ وَلَا يَكُونُ مِنْ دِينِنَا الْحَنِيفِ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِ الأنبياءِ والمرسَلينَ، وعلى آلِه وصحْبِه أجمعينَ، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ؛ فيا عبادَ اللهِ:

وَيَجِبُ تَعْظِيمُ وَتَطْهِيرُ هَذَا الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَهَذِهِ الْبُقْعَةِ الطَّيِّبَةِ الطَّاهِرَةِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ والمعاصي الظَّاهِرَةِ.

وَنَحْنُ نُشَاهِدُ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي يُسْمُونَهَا أَيَّامُ الْعُطْلَةِ أَوِ الْإِجَازَةِ –وَالَّتِي يَتَوَافَدُ فِيهَا النَّاسُ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ– كَثِيرًا مِنَ الْمَظَاهِرِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّاسِ مِنَ الْمُقِيمِينَ أَوِ الْقَادِمِينَ لَا يُعَظِّمُونَ شَعَائِرَ اللهِ، وَلَا يُعَظِّمُونَ هَذَا الْبَيْتَ كَمَا أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَبَعْضُهُمْ يَأْتِي إِلَى هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَمَا يَكَادُ يَتَحَلَّلُ مِنْ عُمْرَتِهِ حَتَّى يَنْطَلِقُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَرْتَعُ فِي الملاهي وَفِي تَرْكِ الْفَرَائِضِ، وَتَبْدَأُ النِّسَاءُ بِالتَّبَرُّجِ، وَالتَّهَتُّكِ، وَتَكُونُ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْأُمُورِ مَا يَضِجُّ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَضِجُّ مِنْهَا هَذَا الْبَلَدُ الْحَرَامُ.

وَهَذِهِ مَأْسَاةٌ كُبْرَى، وَمُصِيبَةٌ عُظْمَى، مَعَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ ضَعْفٍ فِي الْهَيْئَاتِ أَوِ الْمُؤَسَّسَاتِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْإِنْكَارِ، لَكِنْ يَزِيدُ الطِّينَ بَلَّةً أَنْ تَأْتِيَ هَذِهِ الْجُمُوعُ فَتَنْتَشِرُ الْمُحَرَّمَاتُ مِنَ السُّفُورِ وَالتَّبَرُّجِ وَتَرْكِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، فَتَرَى النَّاسَ أَكْوَاماً وَجَمَاعَاتٍ حَتَّى بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَتُقَامُ الصَّلَاةُ وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَهَذِهِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَمِنَ الْمَظَاهِرِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُعَظِّمُونَ شَعَائِرَ اللهِ، وَلَا يُعَظِّمُونَ مَا عَظَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَإِنَّهُ مِمَّا يُثِيرُ الْعَجَبَ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ أَنَّ هُنَالِكَ مَظَاهِرٌ كَثِيرَةٌ كَانَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ تُتَدَارَكَ، وَمِنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَوْ أَنَّنَا أَمَرْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيْنَا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَكُلُّ مَنْ ذَهَبَ إِلَى الصَّلَاةِ أَمَرَ وَحَثَّ إِخْوَانَهُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي السُّوقِ وَأَقْفَلَ دُكَّانَهُ أَمَرَ وَنَهَى إِخْوَانَه –أَيْضًا– بِذَلِكَ وَحَثَّهُمْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ رَأَى التَّبَرُّجَ أَوِ السُّفُورَ أَوِ الْانْحِلَالَ أَوِ الْمُغَازَلَاتِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمُعَاكَسَاتِ فَإِنَّهُ يُبَادِرُ وَيُنْكِرُ، لَوْ فَعَلْنَا هَذِهِ الْأُمُورَ لَأَحْيَيْنَا هَذَا الْأَمْرَ الْعَظِيمَ.

إِنَّ تَرْكَنَا لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، هُوَ –أَيْضًا– مِنْ عَدَمِ تَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ، فَيَتَبَلَّدُ الْحِسُّ عَلَى الْمُنْكَرَاتِ والمعاصي وَالذُّنُوبِ، حَتَّى تُصْبِحُ مَأْلُوفَةً نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ، وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الدَّائِمَةِ فِي هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ، فِي مَوَاسِمِ الْخَيْرِ وَفِي كُلِّ الْعَامِ، وَهُوَ مِمَّا يُدْمِي قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَجْرَحُ مَشَاعِرَهُمْ، وَيَتَنَافَى مَعَ تَعْظِيمِ هَذَا الْبَلَدِ.

وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَنْتَشِرُ فِي هَذِهِ الْبَلْدَةِ الطَّاهِرَةِ –أَيْضًا– مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْأُخْرَى:

الْغِشُّ فِي التِّجَارَةِ، الَّذِي اسْتَغَلَّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الْمَوَاسِمِ، وَفِي أَيَّامِ الْعُطَلِ أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا يَكْثُرُ فِيهِ النَّاسُ؛ فَيَغُشُّونَ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَيُطَفِّفُونَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، وَيُخْرِجُونَ وَيَبِيعُونَ مَا قَدِ انْتَهَى تَارِيخُهُ مِنَ الْبَضَائِعِ، وَلَا يَتَحَرَّجُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَغُشُّونَ فِي الْمَسَاكِنِ وَفِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا، وَيَقُولُونَ: هَذَا مَوْسِمٌ! فَيُقَالُ

لهم: مَنْ أَبَاحَ وَأَحَلَّ لَكُمْ -بِمَا أَنَّهُ مَوْسِمٌ- أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا، وَأَنْ تَنْتَهِكُوا شَعَائِرَ اللهِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بِتَعْظِيمِهَا، وَأَنْ تُقْدِمُوا عَلَى غَشِّ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْحُجَّاجَ أَوِ الزُّوَّارَ، أَوْ مَنْ جَاءَ لِتَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللهِ؟! فَأَصْبَحَ الْمُؤْمِنُ يَجِدُ الْحَرَجَ الشَّدِيدَ وَالْكَرْبَ الْعَظِيمَ فِي إِنْكَارِ الْمُنْكَرَاتِ؛ لِأَنَّهَا مَنْ كَثْرَتِهَا تَسْتَدْعِي جُهُوداً عَظِيمَةً وَأَجْهِزَةً مُتَخَصِّصَةً، وَتَعَاوُنًا جِدِّيًا وَثِيقًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا على الرحمة المُهداة، والنعمة المُسداة: نبيكُم محمد رسول الله ﷺ، فقدْ أمركُم بذلكَ ربُّكم في مُحكمِ تنزيله، فقَالَ -عزَّ شأنُه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِك عَلَى عَبْدِكَ ورَسولِكَ نَبِينَا مُحمَد الحَبِيبُ المُصْطَفَى، والنَّبِيُّ المُجْتَبَى، وَعَلَى آله الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرين، وَعَلَى أَزْوَاجِه أُمَّهات المُؤمنين، وَارضَ اللَّهمَّ عَنِ الخُلَفَاءِ الأربعة الرَّاشدين، الأَئِمَة الحُنفَاء المَهديين: أَبِي بَكرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِين، والتَّابعين وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحسَانٍ إِلَى يَومِ الدِّين، وَعنَّا مَعَهُم بِعَفوكَ وَجُودِكَ وإِحْسَانِكَ يَا أَكرمَ الأَكْرَمِين.

اللَّهُمَّ لا مَفَرَّ لنا إلَّا إلَيك، ولا مَلجأَ إلَّا إلَيك، اللَّهُمَّ انصُرِ المسلِمينَ على الرَّافضةِ والنُّصَيْرِيَّةِ ومَن ناصَرَهم يا قويُّ يا عزيزُ.

اللَّهُمَّ ارحَمْ ضَعفَنا، واغفِرْ ذنبَنا، ما تقدَّمَ منه وما تأخَّرَ، وما ظَهَرَ وما بَطَنَ.

اللَّهُمَّ اغفِرْ ذنوبَنا، واستُرْ عُيوبَنا، وفرِّجْ كُروبَنا، وأحسِنْ خاتِمتَنا، وأجِرْنا من خِزْيِ الدُّنيا وعَذابِ الآخرة، واعفُ عنَّا.

اللَّهُمَّ إنَّا نسألُك أن تَنصُرَ المسلمينَ في كُلِّ مكان، اللَّهُمَّ انصُرْهم على مَن ناوأَهم وعادَاهم.

اللَّهُمَّ اهزِمِ الكفَّارَ، وأَنزِلْ بهم بَأسَك الَّذي لا يُرَدُّ عن القَومِ المُجرمين.

اللَّهُمَّ احفظْ لبلادِنا أَمنَها وإيمانَها وعقيدَتَها واستقرارَها، وردَّ كَيْدَ الكائدينَ في نُحورِهم، واقضِ على أَهلِ الفِتنةِ والفَسادِ والزَّيغِ والعِنادِ.

اللَّهُمَّ انصُرْ جُنودَنا المرابِطينَ في الحُدودِ، اللَّهُمَّ انصُرْهم بنَصرِك، وأيِّدْهم بتأييدِك، اللَّهُمَّ واخلُفْهم في أَهلِهم بخَيرٍ.

اللَّهُمَّ وفِّقْ وَلِيَّ أَمرِنا بتوفيقِك، وأيِّدْهُ بتأييدِك، اللَّهُمَّ وفِّقْه لِهُداكَ، واجعلْ عَمَلَه في رِضاك، واجْزِه اللَّهُمَّ عن الإسلامِ وأَهلِه خيرَ الجَزاء.

عِبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى، ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ والبغيِ، يَعِظُكم لعلَّكم تذكَّرون؛ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُرُوه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد